

# تفسير الطبري

جامع البيان عز و جو. تأويل آي القرآن

# الجزء الأول

فيه

رسالة التفسير  
وتفسير فاتحة الكتاب  
وتفسير سورة البقرة  
من ١ - ٤٣  
والآثار من ١ - ٨٣٩

# تفسير الطبرك



## لسمائة الرحمن الرحيم

### لرحمة رب العالمين

الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ •  
والحمد لله الذى خلق السموات والأرضَ وجعل الظلمات والنورَ .  
والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعلْ له عِوَجًا .  
والحمد لله الذى له ما فى السموات والأرضِ ، وله الحمد فى الآخرة ،  
وهو الحكيمُ الخبيرُ .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .  
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، رسول الله وخيرته  
من خلقه ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين .

وعلى آله وأصحابه ومن تبهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .  
« فَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ  
الغَافِلُونَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ وَأَزْكَى'  
مَا صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَزَكَّانَا وَإِيَّاكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، أَفْضَلَ  
مَا زَكَّيْ' أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » <sup>(١)</sup> .

---

(١) اقتباس من كلام الشافعى ، فى كتابه ( الرسالة ) ، رقم ٣٩ ، بتحقيقنا .

أما بعد :

فإن هذا التفسير الجليل ، باكورة عمل عظيم ، تقوم به ﴿ دار المعارف بمصر ﴾ ، لإحياء ﴿ تراث الإسلام ﴾ ، وإخراج نفائس الكنوز . التي بقيت لنا من آثار سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفاضل . الذين خدموا دينهم ، وعُنُوا بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وحفظ لغتهم ، بما لم تصنعه أمة من الأمم ، ولم يبلغ غيرهم معشار ما وقفهم الله إليه .

فكان أول ما اخترنا ، باكورة لهذا المشروع الخطير : كتاب ﴿ تفسير الطبري ﴾ . وما بي من حاجة لبيان قيمته العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجد في تفسير غيره . وهو أعظم تفسير رأيناه ، وأعلاه وأثبته . استحق به مؤلفه الحجة أن يسمى ( إمام المفسرين ) .

وكنت أخشى الإقدام على الاضطلاع بإخراجه وأعظمه ، عن علم بما يكتنف ذلك من صعوبات ، وما يقوم دونه من عقبات ، وعن خبيرة بالكتاب دهرًا طويلًا : أربعين سنة أو تزيد .

لولا أن قوًى من عزمي ، وشدة من أزرى ، أخى الأصغر ، الأستاذ محمود محمد شاكر . وهو — فيما أعلم — خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء ، وأن يقوم بهذا العمل حق القيام ، أو قريباً من ذلك . لا أعرف أحداً غيره له أهلاً .

وما أريد أن أشهد لأخى أو أثنى عليه . ولكني أقر بما أعلم ، وأشهد بما أستيقن .

وقد أبى أخى السيد محمود إلا أن يُلقَى على بعض العبد ، بالتعاون  
معه فى مراجعة الكتاب ، وبتخريج أحاديثه ، ودَرس أسانيده . وهذا  
— وحده — عملٌ فوقَ مقدورى . ولكنى لم أستطع التخلّى عنه ،  
فقبلتُ وعملتُ ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به .

وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والرعاية والتوفيق . إنه سميع  
الدعاء .

كتبه

أحمد محمد شاكِر

عفا الله عنه بمنه

القاهرة يوم الجمعة ٤ جادى الآخرة سنة ١٣٧٤

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا .  
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . وَاتَّخَذُوا مِنْ  
دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ  
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا . وَقَالَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ  
قَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ  
تُنَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

...

﴿ قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا  
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا  
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

...

والحمد لله الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين



الْحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . هُوَ الَّذِي  
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَآخِرِينَ  
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ  
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

• • •

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ ، وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ ،  
وَنَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، فَافْغِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا  
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

• • •

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَافِينَ لَكَ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتَ عَلَيْنَا :  
أَنْ نَكُونَ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَكَ  
الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ،  
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّكَ أَنْتَ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعْتَ  
لِجَبْرُوتِهِ الْجَبَّارَةِ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعَزَّتِهِ الْمُلُوكُ الْأَعَزَّةُ ، وَخَشَعْتَ  
لِمَهَابَةِ سَطَوْتِهِ ذُووُ الْمَهَابَةِ ، فَلَمْ يُرْهِبْهُمْ بَنِي بَاغٍ وَلَا ظُلْمُ سَفَاحٍ ظَالِمٍ :  
﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝ . وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ

غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ .  
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَؤُلَاءِ ﴿

• • •

اللَّهُمَّ اغفر لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتعمده برحمتك ،  
واجعله من السابقين المقربين في جنات النعيم ، قد كان — ما علمنا —  
من الذين يَتَّبِعُونَ كِتَابَكَ للناس ولم يَكْتُمُوهُ ، ولم يَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
من مَتَاعِ هذه الحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ ومن الذين أَدَّوْا ما لَزِمَهُمْ من حَقِّكَ ،  
وذادُوا عن سُنَّةِ نَبِيِّكَ ؛ ومن الذين ورَّثُوا الْخُلُفَاءَ من بعدهم عِلْمَ ما عَلَّمُوا ،  
وَحَمَلُوا أَمَانَةَ ما سَحَلُوا ، وَخَلَعُوا لَكَ الْأَنْدَادَ ، وَكَفَرُوا بِالطَّاعُوتِ ،  
وَنَضَحُوا عَن دِينِكَ ، وَذَبُّوا عَن شَرِيعَتِكَ ، وَأَفْضَوْا إِلَيْكَ رَبَّنَا وَهُمْ  
بِمِثْلِكَ آخِذُونَ ، وَعَلَى عَهْدِكَ مُحَافِظُونَ ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ وَيَخَافُونَ عَذَابَكَ .  
فَاعْفُ اللَّهُمَّ عَنَّا وَعَنْهُمْ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَارْحَمْنَا وَارْحَمِهِمْ ، أَنْتَ مَوْلَانَا  
فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

• • •

كان أبو جعفر رضى الله عنه يقول : « إِنِّي لِأَعْجَبُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ  
وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ ، كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ ؟ » . ومنذ هداني الله إلى الاشتغال  
بطلب العلم ، وأنا أصاحب أبا جعفر في كتابيه : كتاب التفسير ، وكتاب  
التاريخ . قَرَأْتُ تَفْسِيرَهُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَمَا قَرَأْتُهُ مَرَّةً إِلَّا وَأَنَا أَسْمَعُ  
صَوْتَهُ يَتَخَطَّى إِلَى الْقُرُونِ : إِنِّي لِأَعْجَبُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ ،  
كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ ؟ فَكُنْتُ أَجِدُ فِي تَفْسِيرِهِ مُصَدِّقَ قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ

عنه . بيد أنى كنتُ أجِدُ من المشقة فى قراءته ما أجِد .

كان يستوفى فى القراءة ، كثرةُ القُصُول فى عبارته ، وتباعدُ أطرافِ الجُمْل . فلا يسلم لى المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً . وكان سبب ذلك أننا ألفنا نهجاً من العبارة غيرَ الذى اتَّهَج أبو جعفر ، ولكن تبين لى أيضاً أن قليلاً من الترقيم فى الكتاب ، خليقٌ أن يجعلَ عبارته أيسرَ . فلما فعلتُ ذلك فى أنحاء متفرقة من نسختى ، وعدتُ بعدُ إلى قراءتها ، وجدتُها قد ذهب عنها ما كنتُ أجِد من المشقة . ولما راجعتُ كتب التفسير ، وجدتُ بعضهم ينقلُ عنه ، فينسبُ إليه ما لم أجده فى كتابه ، فتبين لى أن سبب ذلك هو هذه الجمل التى شقتُ على قراءتها . يقرؤها القارىء ، قريباً خطأ مُرادَ أبى جعفر ، وربما أصاب . فتمنيتُ يومئذٍ أن ينشر هذا الكتاب الجليلُ نشرةً صحيحةً محققةً مرقمةً ، حتى تسهلَ قراءتها على طالب العلم ، وحتى تجنبه كثيراً من الزلل فى فهم مُراد أبى جعفر .

ولكن تبين لى على الزمن أن ما طبع من تفسير أبى جعفر ، كان فيه خطأ كثيرٌ وتصحيفٌ وتحريف ، ولما راجعتُ التفاسير القديمة التى تنقلُ عنه ، وجدتُهم يتخطون بعض هذه العبارات المصحفة أو المحرفة ، فعلمتُ أن التصحيف قديم فى النسخ المخطوطة . ولا غرو ، فهو كتابٌ ضخْمٌ لا يكادُ يسلمُ كلُّ الصواب لناسخه . وكان للذين طبعوه عذرٌ قائمٌ ، وهو سقم مخطوطاته التى سلت من الضياع ، وضخامة الكتاب ، واحتياجه إلى مراجعة مئات من الكتب ، مع الصبر على المشقة والبصر بمواضع

الخلل . فأضرتُ في نفسي أن أنشر هذا الكتاب ، حتى أؤدى بعض حقَّ الله عليَّ ، وأشكر به نعمةً أنالها — أنا لها غيرُ مستحقٍّ — من ربِّ لا يؤدى عبدهُ من عباده شكرَ نعمة ماضيةٍ من نعمه ، إلا بنعمةٍ منه حادثةٍ توجب عليه أن يؤدى شكرها ، هي إقداره على شكر النعمة التي سلفت ؛ كما قال الشافعي رضي الله عنه .

وتصرَّم الزَّمن ، وتقات الأيَّامُ ، وأنا مستهلكٌ فيما لا يُغني عني شيئاً يوم يقوم الناس لربِّ العالمين . حتَّى أيقظني عدوانُ العادين ، وظلمُ الظَّالمين ، وطغيانُ الجبابرة المتكبرين ، ففقدت العزمَ على طبع هذا التفسير الإمام ، أتقرَّبُ به إلى ربِّ العالمين ، ملك يوم الدين .

وأفضيتُ بما في نفسي إلى أخي الأكبر السيد أحمد محمد شاكر — أطل الله بقاءه ، وأقبسني من علمه — فرأى أن تنشره « دار المعارف » ، باكورة أعمالها في نشر ﴿ تراث الإسلام ﴾ . ولم يمض إلا قليل حتى أعدت الدار عدتها لنشر هذا الكتاب الضخم ، مشكورةً على ما بذلته في إحياء الكتاب العربي .

وكنْتُ أحبُّ أن يكون العمل في نشر هذا الكتاب مشاركة بيني وبين أخي في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، ولكن حالت دون ذلك كثرة عمله . وليته فعل ، حتى أستفيد من علمه وهدايته ، وأتجنَّب ما أخاف من الخطأ والزلل ، في كتابٍ قال فيه أبو عمر الزاهد ، غلام ثعلب : « قابلتُ هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فما وجدتُ فيه حرفاً خطأً في نحو أو لمة » . وأتَّى لئلي أن يحقق كلمة أبي عمر في كتاب أبي جعفر !

ونحن أهل زمانٍ أوتوا من العجز والتهاون ، أضعافَ ما أوتى أسلافهم  
من الجِدَّةِ والقدرة !

فتفضل أخى أن ينظرُ فى أسانيد أبى جعفر ، وهى كثيرة جدًّا ،  
فيتكلمَ عن بعض رجالها ، حيثُ يتطلب التحقيق ذلك ، ثم يخرجُ جميع  
ما فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن وجدَ بعد ذلك  
فراغًا نظرَ فى عملى وراجعهُ واستدركَ عليه . فشكرتُ له هذه اليدَ التى  
طوّقتنى بِها ، وكَمَ له عندى من يدٍ لا أملكُ جزاءها ، عندَ الله جزاؤها  
وجزاء كلِّ معروفٍ . وحسبُهُ من معروفٍ أَنَّهُ سدَّدَ خُطَايَ صغيرًا ،  
وأعانتى كبيرًا .

وتوليتُ تصحيحَ نصِّ الكتاب ، وضبطه ، ومقابلته على ما بين أيدينا  
من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجحته على كتب التفسير التى نقلت عنه .  
وعَلَّقتُ عليه ، وبَيَّنتُ ما استغلقَ من عبارته ، وشرحتُ شواهدهُ من  
الشعر . وبذلتُ جُهدى فى ترقيمه وتفصيله . فكلَّ ما كان فى ذلك من  
إحسانٍ فمن الله ، وكلَّ ما فيه من زَلَلٍ فمَنى ومن عجزى ، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله .

والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى ، لا تكادُ تُوجَدُ ، والذى  
مِنها فى دار الكتب أجزاء مفردة من الجزء الأوَّل ، والجزء السادس  
عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت فى خمسة وعشرين مجلدًا ضاع منها  
الجزء الثانى والثالث ، وهى قديمةٌ غير معروفة التاريخ . وهى على ما فيها  
تكادُ تكون أصحَّ النسخ . وهى محفوظة بالدار برقم : ١٠٠ تفسير .

فجعلتها أماً لنشر هذا الكتاب . أما سائر المخطوطات فهي سقيمة رديئة ،  
لم تنفع في كثير ولا قليل ، فضلاً عن أنها قطع صغيرة منه .

فنهجتُ نهجاً آخر في تصحيح هذا التفسير ، وذلك بمراجعة ما فيه  
من الآثار على كتاب « الدرّ المنثور » للسيوطي ، « وفتح القدير »  
للشوكاني ، فوما يكثران النقل عن تفسير أبي جعفر . أما ابن كثير في  
تفسيره ، فإنه لم يقتصر على نقل الآثار ، بل نقل بعض كلام أبي جعفر  
بنصّه في مواضع متفرقة ، وكذلك نقل أبو حيان والقرطبي في مواضع  
قليلة من تفسيريهما . فقابلتُ المطبوع والمخطوط من تفسير أبي جعفر على  
هذه الكتب . وكنت في هذا الجزء الأوّل من التفسير أذكر مرجع  
كل أثر في هذه الكتب ، ثم وجدتُ أن ذلك يطيل الكتاب على  
غير جدوى ، فبدأت منذ الجزء الثاني أغفل ذكر المراجع ، إلا عند  
الاختلاف ، أو التصحيح ، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع .

وراجعتُ كثيراً مما في التفسير من الآثار ، على سائر الكتب التي  
هي مظنة لروايتها ، وبخاصّة تاريخ الطبري نفسه ، ومن في طبقة من  
أصحاب الكتب التي تروى الآثار بالأسانيد . وبذلك استطعتُ أن أحرّر  
أكثرها في الطبري تحريراً أرجو أن يكون حسناً مقبولاً .

أما ما تنكلم فيه من النحو واللغة ، فقد راجعته على أصوله ، من  
ذلك « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، « ومعاني القرآن » للفراء ، وغيرها  
ممن يذكر أقوال أصحاب المعاني من الكوفيين والبصريين .

وأما شواهدُه فقد تتبعْتُ ما استطعتُ منها في دواوين العرب ، ونسبت

ما لم يكن منها منسوبا ، وشرحتها ، وحققت ما يحتاجُ إلى تحقيق من قصائدها ، مختصراً في ذلك ما استطعت .

وقد رأيتُ في أثناء مراجعاتي أن كثيراً من نقل عن الطبري ، ربما أخطأ في فهم مراد الطبري ، فاعترض عليه ، لما استغلقَ عليه بعضُ عبارته . فقيدت بعض ما بدا لي خلال التعليق ، ولم أستوعب ذلك استيعاباً مخافة الإطالة ، وتركْتُ كثيراً مما وقفتُ عليه من ذلك في الجزء الأول ، ولكنني أرجو أن أستدرك ما فاتني من ذلك في الأجزاء الباقية من التفسير إن شاء الله ربُّنا سبحانه .

وبينتُ ما وقفتُ عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم ، بما استعمله الطبري ، وخالفه النحاة وغيرهم في اصطلاحهم ، بعد ذلك ، إلى اصطلاح مُستحدث . وربما فاتني من ذلك شيء ، ولكنني أرجو أن أبين ذلك فيما يأتي من الأجزاء . وقد وضعتُ فهرساً خاصاً بالمصطلحات ، في آخر كلِّ جزء ، حتى يتيسر لطالب ذلك أن يجد ما استبهم عليه من الاصطلاح في موضع ، في جزء آخر من الكتاب .

وكنتُ أحبُّ أن أبين ما انفرد به الطبري من القول في تأويل بعض الآيات ، وأشرح ما أغفله المفسرون غيره ، ولكنني خفتُ أن يكون ذلك سبباً في زيادة الكتاب طولاً على طوله ؛ مع أني أرى أن هذا أمرٌ يكشف عن كتاب الطبري ، ويزيدنا معرفة بالطبري المفسر ، وبمنهجه الذي اشتقه في التفسير ، ولم يختلف المفسرون من بعده ، فأغفلوا ما حرصَ هو على بيانه ؟

وكنتُ أحبُّ أيضاً أن أسهل على قارى كتابه ، فأجل في آخر  
الآياتِ المتتابعة التي انتهى من تفسيرها ، مُلخصاً يجمع ما تفرّق في عشراتٍ من  
الصفحات . وذلك أنى رأيتُ نفسى قديماً ، ورأيتُ المفسّرين الذين نقلوا عنه ،  
كانوا يقرأون القطعة من التفسير مفصولةً عما قبلها ، أو كانوا يقرأونه متفرّكا .  
وهذه القراءةُ ، كما تبين لي ، كانت سبباً في كثيرٍ من الخلط في معرفة مُرادِ  
الطبرى ، وفي نسبة أقوالٍ إليه لم يقلها . لأنّه لما خاف التكرار لطول الكتابِ ،  
اقتصَرَ في بعض المواضع على ما لا بُدَّ منه ، ثقةً منه بأنّه قد أبان فيما مضى من  
كتابه عن نهجه في تفسير الآيات المتصلة المعاني . والقارىّ الملتبس لمعنى آيةٍ من  
الآياتِ ، ربّما غفل عن هذا الترابط بين الآية التي يقرأها ، والآيات التي سبقَ  
للطبرى فيها بيانٌ يتصل كل الاتصال ببيانه عن هذه الآية . ولكنى حين  
بدأتُ أفعل ذلك ، وجدت الأمر شاقاً عسيراً ، وأنه يحتاجُ إلى تكرار  
بعض ما مضى ، وإلى إطالةٍ في البيان . وهذا شيءٌ يزيدُ التفسيرَ طولاً وضخامةً .  
ولمّا رأيتُ أن كثيراً من العلماء كان يعيبُ على الطبرى أنه حشدَ في  
كتابه كثيراً من الرواية عن السالفين ، الذين قرأوا الكتبُ ، وذكرُوا  
في معاني القرآن ما ذكرُوا من الرواية عن أهل الكتّابين السالفين :  
التّوراة والإنجيل — أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبرى في الاستدلال  
بهذه الرواياتِ روايةً روايةً ، وأبين كيف أخطأ الناسُ في فهم مقصده ،  
وأنّه لم يجعل هذه الروايات قطعاً مهينةً على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل  
من يديه ولا من خلفه . وأحببتُ أن أبين عند كلّ روايةٍ مقالة الطبرى في  
إسنادها ، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجّةٌ في دين الله ، ولا في تفسير كتابه ،



وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم ، على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياق جملة . وقد علفتُ في هذا الجزء ١ : ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، وغيرهما من المواضع تعليقاً يبينُ عن نهج للطبرى في الاستدلال بهذه الآثار ، وتركتُ التعليقَ في أما كنَ كثيرة جداً ، اعتماداً على هذا التعليق . ورأيتُ أن أدعَ ذلك حتى أكتب كتاباً عن « الطبرى المفسر » بعد الفراغ من طبع هذا التفسير . لأنى رأيتُ هناك أشياء كثيرة ، ينبغي بيانها ، عن نهج الطبرى في تفسيره . ورأيتنى يحذّر لى كُلَّ يوم جديدٌ في معرفة نهجه ، كلما زدتُ معرفةً بكتابه ، وإلفاً لطريقته . فأسأل الله أن يعينى أن أفردَ له كتاباً فى الكلام عن أسلوبه فى التفسير ، مع بيان الحجّة فى موضع موضع ، على ما تبين لى من أسلوبه فيه . ورحمَ الله أبا جعفر ، فإنه ، كما قال ، كان حدّث نفسه بهذا التفسير وهو صبيٌّ ، واستخار الله فى عمله ، وسأله العونَ على ما نواه ، ثلاثَ سنين قبل أن يعملهُ ، فأعانه الله سبحانه . ثم لما أراد أن يعلّى تفسيره قال لأصحابه : أنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا ممّا تفتنى فيه الأعمارُ قبل تمامه ! فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة . فكان هذا الاختصار سبباً فى تركه البيانَ عما نبجهد نحنُ فى بيانه عند كل آية . وهذا الاختصارُ بينٌ جداً لمن يتتبع هذا التفسير من أوله إلى آخره .

هذا وقد كنتُ رأيتُ أن أكتب ترجمةً للطبرى أجعلها مقدّمةً للتفسير . ولكننى وجدت الكتابة عن تفسيره فى هذه الترجمة ، لن تيسّر لى

إلا بعد الفراغ من كتابه ، وكشف النقاب عما استبهم من منهاجه في تفسيره . فأعرضتُ عن ذلك ، وقلت أجمع ترجمة للطبرى ، فجمعتُ كُلَّ ما في الكتب المطبوعة والمخطوطة من ترجمة وأخبار ، وما قيل في تصانيفه وتعدادها ، فإذا هي قد تجاوزت ما يمكن أن يكونَ ترجمةً في صدر هذا التفسير ، فأثرتُ أن أفردها كتاباً قائماً بنفسه ، سوف يخرجُ قريباً بعون الله سبحانه .

أما الفهارسُ ، فإنِّي كنتُ أريدُ أن أدعها حتى أفرغَ من الكتاب كُلِّه ، فأصدرها في مجلداتٍ مستقلة ، ولكن الكتابَ كبيرٌ ، وحاجةُ الناسِ ، وحاجتي أنا ، إلى مراجعة بعضه على بعض ، وربط أوله بآخره أوجبتُ أن أتعجلَ فأفرد بعض الفهارس مع كُلِّ جزء . فجعلتُ فهرساً للآيات التي استدلتُ بها في غير موضعها من التفسير . فقد تبين لي أنه ربّما ذكر في تفسير الآية في هذا الموضع ، قولاً في الآية لم يذكره في موضعها من تفسير السورة التي هي منها .

وأفردت فهرساً ثانياً لألفاظ اللغة ، لأنه كثير الإحالة على ما مضى في كتابه ، وليكون هذا الفهرس مرجعاً لكل اللّغة التي رواها الطبرى ، وكثير منها ممّا لم يرد في المعاجم ، أو جاء يسانه عن معانيها أجود من بيان أصحاب المعاجم . وهو فهرسٌ لا بُدَّ أن يتم عند كُلِّ جزء ، حتى لا يسقط على شيء من لغة الطبرى .

وأفردت فهرساً ثالثاً لمباحث العربية ، لأنه كثيراً ما يحيلُ على هذه المواضع ، ولأنّ فيها نفعا عظيماً تبينته وأنا أعلم في هذا التفسير . وزدت

فهرساً رابعاً للمصطلحات القديمة التي استحدث الناس غيرها ، ليسهل على قارئ كتابه أن يجد تفسيرها في موضعها ، فإنني لم أفسرها عند كل موضع ذكرت فيه ، لكثرة تكرارها في الكتاب . وفهرساً خامساً ، هو ردوده على الفرق وأصحاب الأهواء .

وأفردت فهرساً سادساً للرجال الذي تكلم عنهم أخى السيد أحمد في المواضع المتفرقة من التفسير ، حتى يسهل على من يريد أن يحقق إسناداً أن يجد ضالته . فإنه حفظه الله ، لم يلتزم الكتابة على الرجال عند كل إسناد . وهذا فهرس لا بد منه مع كل جزء حتى لا تتكرر الكتابة على الرجال في مواضع مختلفة من الكتاب ، ولتصحح أسماء الرجال حيث كانوا من التفسير .

أما الفهرس العام للكتاب ، فقد اقتصر فيه على ذكر ما سوى ذلك ، ولم أذكر فيه بدءاً في تفسير كل آية ، لأن آيات المصحف مرقمة ، وأثبتنا أرقام الآيات في رأس الصفحات . فمن التمس تفسير آية ، فليستخرج رقمها من المصحف ، وليطلب رقمها في تفسير الطبرى من رؤوس الصفحات .

• • •

هذا ، وقد تركت أن أصنع للشعر فهرساً مع كل جزء ، فإنني سأجعل له فهرساً مفرداً بعد تمام طبع الكتاب ، على نمط اخترته لصناعته . وأما فهارس الكتاب عامة ، فتكون بعد تمام الكتاب كله . وهي تشمل فهارس أسانيد الطبرى ، على طراز أرجو أن أكون موفقاً في اختياره وعمله . ثم فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس المعاني ،

والفهارس الجامعة لما أفردته من الفهارس مع كل جزء . وهذا شيء لا بد منه ، لضبط ما في التفسير من مناحي العلم المختلفة ، ولتيسر على الطالب أن يجد بُغيته حيث شاء من كتاب الطبرى ، لأنه كثير الإحالة في كتابه على ما مضى منه .

• • •

وبعد ، فقد بذلتُ جهدى ، وتحريتُ الصوابَ ما استطعتُ ، وأردتُ أن أجعلَ نشرَ هذا الكتابِ الإمامِ في التفسير ، زُلْفَى إلى الله خالصةً . ولكن كيف يخلصُ في زماننا عملٌ من شائبة تشوبه ! فأسألُ الله أن يتقبلَ منى ما أخلصتُ فيه ، وأن يغفرَ لى ما خالطه من أمرٍ هذه الدنيا ، وأن يتغمّدنى برحمته يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وأضرعُ إليه أن يغفرَ لنا ولإخواننا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَآخَرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

محمود محمد شاكر